الملف

تريز الخوري
khourytherese@hotmail.com

ترميم أجساد المتضرّرين وأرواحهم من الحروب أبوستة: نمنح فرصة حقيقيّة لاستعادة القدرات

تعتبر مساعدة الاطفال المصابين امرا بالغ الاهمية، خاصة في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها هؤلاء بسبب الصراعات المستمرة. كما ان تقديم الرعاية ليس مجرد ضرورة انسانية، بل هو حق اساسي وحيوي للحصول على حياة آمنة وصحية، لذا يجب العمل على اعادة بناء ما تم تدميره، كخطوة اساسية نحو صنع مستقبل واعد

في مركز غسان ابوستة، لا تقاس البداية بنبض الاجهزة الطبية ولا بملفات المرضى، بل بنبرة صوت دافئة تنادي الطفل باسمه. هنا، قبل اي تشخيص تبنى لحظة ثقة. فعندما يقترب الطبيب من المصاب يعرف عن نفسه، يمازحه، ويسأله عن رحلته او عن مدرسته، وكأن الهدف الاول ليس العلاج، بل اعادة شيء مفقود وهو الاحساس بالأمان. في هذا المكان، تنطلق الفلسفة التي تعالج النفس، وتعمل منظومة دقيقة يقودها فريق طبي متعدد الاختصاصات، الى جانب متطوعين، يجتمعون حول هدف واحد يتمثل في إعادة بناء الحياة. "الامن العام" التقت البروفسور المتخصص في طب النزاعات الدكتور غسان ابوستة.

■ ما هو الدور الذي تقومون به في مجال رعاية الاطفال الجرحى؟

□ املك خبرة طويلة في التعامل مع المتأثرين بالحروب، فعملي لا يقتصر على المعالجة فقط، بل يشمل فهم الابعاد الاجتماعية. فالمصابون، وهم كثر، يعانون غالبا من فقدان الشعور بالأمان، وتتأثر حياتهم اليومية بشكل لافت. لذلك، أشرف على برامج متكاملة تشمل الرعاية والدعم النفسي، اعادة التأهيل، التعليم، مع التعاون الوثيق مع المعنيين والخبراء المتخصصين، لضمان تمكين كل متضرر من الوصول الى بيئة آمنة واستعادة حياته الطبيعية.

■ ما هو الهدف الاساسي من عمل مؤسستكم، وعلى مَن تركزون في خطتكم الانسانية؟

□ انطلق عملنا بداية لدعم صغار غزة، قبل ان يتوسع لاحقا ليشمل لبنان مع تصاعد الاحداث في الجنوب، وما خلفته من انعكاسات قاسية على الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة ظروف استثنائية اثرت على صحتهم. تقوم رؤيتنا وفقا لمقاربة شاملة تهدف الى تأمين متابعة متكاملة، عبر كل الاشخاص الفاعلين الى جانب عدد من الهيئات الانسانية، من بينها مؤسسة عامل. ويسعى هذا التعاون الى توفير بيئة داعمة تساعد هؤلاء البراعم الصغيرة على التعافي التدريجي، والاندماج مجددا في حياتهم اليومية، بعيدا من آثار التجارب القاسية التي فرضت عليهم.

■ كيف تبدأ رحلة العلاج وما المنهجية المتبعة؟

□ منذ اللحظة الاولى لوصول الجريح، يتم اجراء التقييم الشامل والدقيق بهدف تكوين صورة متكاملة عن الاحتياجات الفعلية. فالإصابات الناتجة عن القصف او الغارات غالبا ما تكون معقدة ومتعددة الابعاد، وتشمل حالات بتر أطراف. اضافة الى الكسور والحروق، كذلك هناك اوضاع حرجة تتطلب تدخلا عاجلا تتبعه خطة عمل طويلة، كما يتم وضع المسار الفردي لكل شخص على انفراد. ولا تقتصر الامور على الجانب الطبي فحسب، اذ يتم التعامل بالتوازي مع الصدمات الناجمة عن فقدان المنزل او أحد افراد العائلة او التعرض المباشر لمشاهد العنف والخوف المستمر، وهي عوامل تؤثر بشكل عميق في السلوك والقدرة على التكيف. لذا يتأمن الدعم عبر جلسات تسمى التفريغ النفسي الذي يعتمد على اساليب حديثة تساعد على التعبير عن المشاعر. كما نقوم بتنمية المهارات الحياتية لتعزيز التواصل، وهكذا يخضع كل شخص لمتابعة مستمرة وتقييم دوري لقياس مدى التقدم واجراء التعديلات اللازمة عند الضرورة، مما يساهم في رفع نسب الشفاء الى مستويات عالية جدا، ويمنح فرصة حقيقية لاستعادة القدرات، اضافة الى العودة للاستقرار قدر الامكان.

■ ما هي المعايير المتبعة التي يتم على اساسها اختيار الشخص الواجب معالجته؟

□ نركز على الحالات التي تحتاج الى جراحات ترميمية او تأهيلية نتيجة بتر الأطراف، او تبعا لنوع الاصابة وموقعها. هكذا تبدأ المرحلة الاولى من خلال التحضير للعمليات، اضافة الى اننا نوفر مواكبة تعليمية واجتماعية تهدف الى تعزيز قدرة الجرحى على تقبل اجسادهم بشكلها الجديد، تمهيدا لإعادة دمجهم في مجتمعهم ومحيطهم الطبيعي، فيما يتولى هذه المهمة فريق متكامل. وقد ابدى عدد كبير من الاختصاصيين رغبتهم في التطوع والتعاون معنا، بهدف ان يتمسك هؤلاء بأحلامهم. المثال على ذلك، خلق بيئة شبيهة بالمدرسة، تهدف الى مساعدتهم على التركيز على مستقبلهم بدلا من الانشغال بمأساتهم. فحين يشعرون بأن الحياة مستمرة وان امامهم فرصا جديدة، يصبحون أكثر قدرة على تجاوز التجربة والتكيف معها، ونحن نسعى في نهاية المطاف الى معالجتهم لكي يتمكنوا من العودة الى واقعهم الطبيعي.

■ كيف تؤثر الحرب على نفسية الاطفال، وكيف يساعد مشروعكم على تخطي الواقع المعاش؟

□ يعاني هؤلاء من تأثيرات عميقة نتيجة ما مروا به، حيث يفقدون الشعور بالاستقرار وتتراجع قدراتهم النفسية، كصعوبة التواصل مع الاخرين او الانطواء، اضافة الى تحديات في التركيز. لذا نعمل على اعادة بناء الثقة

البروفسور المتخصص في طب النزاعات الدكتور غسان أبوستة.

المحيطة بهم، عبر استعادة مهاراتهم الاجتماعية والعاطفية تدريجا. من خلال المساندة المستمرة، يستعيدون قدراتهم على الانخراط في مجتمعهم، مما يعكس لديهم الشعور بأن لديهم القدرة على النمو والتطور على الرغم من الصعوبات التي واجهوها.

■ من هي الجهات الرسمية والمنظمات الدولية التي تتعاونون معها؟

□ ثمة تنسيق وثيق مع الدولة اللبنانية من خلال الامن العام الذي يسهل نقل مصابي غزة الى مستشفى الجامعة الاميركية، كما تمد وزارة الصحة اللبنانية يد المساعدة لنا الى جانب اليونيسف والمنظمات المحلية، بهدف تأمين سرعة الاستجابة للحالات الطارئة، حيث نقدم الاهتمام اللازم بما يضمن اعادة دمج هؤلاء في المجتمع بأفضل صورة.

■ كيف تؤثر التجارب الصادمة المتراكمة على التطور السلوكي في مناطق الصراع؟

□ لا يمر هؤلاء باختبار واحد، بل بسلسلة متراكمة من الاحداث العنيفة تشمل القصف، النزوح المتكرر، فقدان المنزل، وفي كثير من الحالات يستشهد أحد الوالدين او كلاهما، الى جانب الاصابات الجسدية. هذا التراكم، يؤدي الى فقدان جوهري للإحساس بالحماية اللازمة، مما ينعكس على نظرتهم للدنيا وثقتهم بمن حولهم. كما تظهر عبر مجموعة من الاعراض تتمثل بفقدانهم مهارات كانوا قد اكتسبوها سابقا، مثل النطق او القدرة على التعبير او التبول اللا إرادي. كذلك يعاني الكثير منهم من قلق حاد وخوف دائم، يظهر في ردود فعل مبالغ فيها تجاه الاصوات المرتفعة او اي محفز يذكرهم بتجربتهم القاسية، اضافة الى اضطرابات النوم والكوابيس المتكررة. فالبعض منهم يظهر عصبية شديدة ونوبات غضب نتيجة العجز عن التعبير عن مشاعره، بينما يميل آخرون الى الانسحاب والانغلاق ورفض التفاعل. ولا يمكن اغفال التأثير العميق للإصابات الجسدية، خصوصا التشوهات، حيث تتأثر صورة الطفل عن ذاته بشكل كبير، وقد يشعر بالنقص او الاختلاف، مما يزيد من عزلته خاصة في مراحل عمرية حساسة كالمراهقة. كذلك يؤدي فقدان الاهل الى شعور مضاعف بعدم الامان، حيث ينتقل المصاب للعيش مع اقارب قد لا يشكلون بديلا عاطفيا كاملا. وعلى الرغم من كل هذه التحديات، نلاحظ ان لديهم القدرة اللافتة على التعافي إذا توافرت الظروف المناسبة. فحين نؤمن لهم بيئة آمنة ونقدم المتابعة الطويلة الامد، ونساعدهم على العودة الى الانشطة اليومية، يبدأ التحسن تدريجا. فيما يعتبر اللهو من اهم المؤشرات على التماثل للشفاء، فعندئذ يتم التعبير عن المشاعر، كما يبدأ هؤلاء بالاطمئنان على المحيطين بهم. بالتالي، يمكن القول انهم تخطوا الجروح العميقة التي لا تقل خطورة عن الاصابة الجسدية، وان التدخل المبكر والشامل يمكن ان يعيد الجزء الاكبر من التوازن، ويمنح الفرصة الحقيقية للعودة الى المشاركة الفاعلة فيه، وتعزيز القدرات على التأقلم، اضافة الى اننا نسعى بكل ما لدينا من امكانات الى تمكينهم من المضي قدما براحة مطلقة.

> **ما نقوم به يضمن اعادة المصاب الى وضعه الطبيعي**

■ ما هي رسالتكم على المدى الطويل، وما هو تأثيرها على المجتمع المنهك نتيجة الحروب؟

□ في ظل الحروب والازمات الكبرى، يظل الاطفال الحلقة الاضعف، اذ انهم يتعرضون لضغوط هائلة قد تترك اثرا كبيرا على حياتهم اذا لم يتم تقديم الدعم الملائم في الوقت المناسب. بعد فترة العلاج، علينا مساعدتهم على التحكم في قلقهم وتوترهم، وذلك عبر تحويلهم الى امور ممتعة لجذب انتباههم وتحفز مشاركتهم بهدف تحسين وعيهم. كما يؤدي الروتين اليومي الثابت دورا اساسيا في توفير الشعور بالهدوء، فتنظيم مواعيد النوم والطعام والانشطة تمنح الصغار احساسا بالطمأنينة وسط الفوضى التي فرضها الواقع المؤلم، وتعزز قدرتهم على مواجهة المشاكل. كذلك يقلل من احتمالية تعرضهم لمشاعر الخوف او الانعزال، مما يتيح لهم التكيف بشكل أفضل على المدى الطويل.